فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجو ان تعيروا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشائر صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغيير أيضاً وهلم جرًّا فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يسد هذا الطريق. مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سوره تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين. قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فاذا ترجم القرآن لايبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشائر صدق نبوت »

أما أدباؤنا معشر الترك الروسيين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لامعنى للقول بانه لاتجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قزان وتطبع ترجمته تدريجا وكذلك تشبث بترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي البا كوي أحد فدائية القفقازفرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة　حرره الامام الحقير أحسن شاه أحمد الكاتب الديني السماري

(ج) ان من تقصير المسلمين في نشر دينهم ان لايبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهله اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب مايفهم المترجم

هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نتفرق ونقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولكننا نذكر شيئا مما يخطر في البال

اسدهجر المسلمين للقرآن المنزل «بلسان عربي مبين» استغناء عنه بترجمة أعجمية يغنيهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي ننكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مبينة له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم مافهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد (ص) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآناً شيء من اصول الإسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لااتباع لها

(٤) ويلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨ قل هـذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وامثالها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما انزل الله

(٥) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لهم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا تخلق جدته ، ولا تفتأ تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده حكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره مالم يظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « فرب مبلَّغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارئ بالمعنى الذي صوره المترجم بحسب فهمه. مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) من المجاز بالاستعارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للانثى وحدوث الولد بعـد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فاذا هو

جرى على ذلك بان فرضنا أنه لايوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام « لواقح » العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا اطلق فان القارئين يتقيدون بهذا الفهم ويمتنع عليهم ان يفهموا من العبارة ماهي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقح بالفعل اذ هي تحمل مادة اللقاح من ذكور الشجر الى اناثه . فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية ترجمة حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسبنا أن يكون هذا موضحاً . والترجمة تقف بنا عند حد من الفهم يعوزنا معه الترقي المطلوب

(٨) ذكر الغزالي في كتاب « إلجام العوام عن علم الكلام » ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وبين ان الخطأ في ذلك مدرجة للكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم ان من الالفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ وهو ان شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارئ ترجمته في اعتقاد مالم يرده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضا ان من الالفاظ العربية مالها فارسية تطابقها « لكن ماجرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها » فاذا اطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤديا المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الاعاجم . وهذا المقام من مزلات الاقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضا في هذا المقام ان من هذه الالفاظ ما يكون مشتركا في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد يختار المترجم غير المراد لله من معنيي المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مر نظيره آنفا

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

(١) راجع ص ٧٢٨ م ٩ او ٢١٤ من الجزء الثالث من التفسير

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة واذافات يفوت بفوته خير كثير فياطالما كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوربا (وهو فرنسي نسيت اسمه) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع الى الايمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات. وحضر الدكتور فارس افندي نمر مرة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال تلميذ بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيرا عميقا في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك. فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف نحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا نقرأها ونحمدالله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عمن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك

هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوها أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حققه بعض أهل الاصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب بقائه غير مفهوم فهي ممنوعة فاننا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برمته . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة و بعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات و يذكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى بلاد الصين — ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه و يعبدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار اليها بقوله فيه (٩٢:٢١ انهذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو حبل الله فلا يتفرقوا ولتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (٤٩:١٠ انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الاتلانتيك) الى بلاد الهند فهل كان هذا الإخير اعظيما تآخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدنية كانت زينة للأرض وضياء ونورا لا هلها ؟

ثم هفا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يتراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية مافعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن

فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الاسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام وان يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجباريا في جميع مدارس المسلمين ويحيوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بآراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المفتونين منا بسياسة أورباويعاونونها على تقطيع بقية ما ترك الزمان من الروابط الاسلامية بتقوية العصبيات الجنسية حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل ! : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير وقى الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع بقائه إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو

سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباسي بهندسة عتبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الغراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي للآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد و بعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على ممر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينجيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا أخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسدّ ليس كذلك وهذا وجه استغرابي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جبلين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري أقلب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت ياأخي اني اظن ان هذه الامة هي أمة التتار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخترقت آسيا والهند ومصر واوربا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

أني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ففزع فلما سألوه عن السبب قال ويل لامتي من السيل المنهمل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك . و بعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيده عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تفيدوا الجواب على صفحات المنار الاغر حتى يقتنع المشاغب كما هو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر افندم

(ج) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرهما من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسيا القطب الجنوبي لا تزال مجهولة . وقد استدل بعض العلماء على ان السد بني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب . ولا يعترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فإن حالة مدنية ذلك العصر وحالة الارض فيها غير معروفة لنا الآن فنبني عليها اعتراضا كهذا فما يدرينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلا فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار فغمرتها بطول الزمان وكم من أرض انحسر عنها الماء فصارت ارضا عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدنيات القديمة بالمشاهدة او الاستدلال ما يجهل بعض اسبابه كالأنوار والنقوش والالوان وجر الاثقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سببا حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها و بين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهربائية ؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الارض التي بني عليها الاعتراض . ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسلمة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « دربند » بروسيا ومعناه السد وفيه موضع يسمى « دمرقبو » اي باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره ملطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك (راجع ص ١٥و١٦ ج ٣) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قبيلتين اسم إحداها « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتعريب هذين اللفظين بيأجوج ومأجوج ظاهر جلي

وأما الموضع الثاني فاننا نترجم ماجاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابته وهو :

« في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (مئة و بضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطُّوَيْلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعميق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شامخة متصبة ليس فيها مسالك معبّدة فالمتوغل فيها على خطر السقوط والهويّ وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي (الذراع الفارسي متر واربعة سنتيات) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما سمكه فخمسة عشر شبراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعدّ زُبر الحديد المبني بها السد فقصارى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداهما قلعة العرصة والثانية قلعة الباحثة اه

فهذا الوصف ينطبق على ماجاء في القرآن من وصف السد و بلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا اللقب من القاب ملوك العرب الحيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء (كذي يزن وذي الكلاع وذي نواس) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منه وهم التتر كاورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويعدهم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولا من

الارض فلم لا يجوز ان يكون قد اندك وذهب أثره من الوجود ؟ ان قيل يمنع من ذلك ان اندكاكه وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجبنا بجوابين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نبينا نبي الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى مامضى من عمر الارض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيهما) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الاحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سنبس برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والاوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفعني الله بعلومه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو : ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتغلة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف لبس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرآة فلايحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشابهتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب

(ج) صانع الصور مصوّر سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) . وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد او بالآلة لافرق بينهما شرعا ولاعرفا . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشابهتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعائر الوثنية أي تعظيم الصور او عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معلقا في بيتها لمشابهته الصور التي كانت في الكعبة فلهاتكه واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأسا . وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعترف بأن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ماذكر

فاي فرق يبقى عنده بين ماسماه فعل الصورة وحبس الصورة ؟ القصد من الامرين واحد وفي كل منها عمل اختياري للمصور فاذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا او حيوانا او غيره كما عبد بعض البابية الرجل الملقب ببهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم ان يصور لهم معبودهم بالآلة الشمسية ليعظموها ويعبدوها بناء على ان فعله حبس تلك الصورة لافعل لها ؟ ان هذا قول لاوجه له فيما نرى والله أعلم

﴿ الوقف على المساجد والمدارس ﴾

(س ٤) مستفيد من سنغافوره

ما قول المنار المنير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها و بناء المساجد للصلاة ولا يخفى عليكم ما ورد في فضلها فأي الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا

(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعائر الإسلام اذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والعلوم منها ماهو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فاذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة اليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين او اكثر بل ذهب الامام الشافعي الى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد ان امكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار . واذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لاقامة الجمعة والجماعة فلاشك ان بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف اقامة الشعائر عليه

وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج اهله اليهما معا وحينئذ يظهر انه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن ان يصلى فيه ويعلم مالابد منه حتى يتيسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم ان بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة اليها مضاد لمقصد الشريعة وهو لايكون عن رياء او جهل

السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

ننشر هذه المقالة بالامضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالمجلس النيابي :

كان عميد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضعف إرادته يواتي العميد فيما يريد قلما يراجعه في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العميد ما لم يكن يرى من والده من المقاومات فكان ينتهز فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد فأكثر من المستشارين والمفتشين والقضاة وكبار العمال من الإنكليز وفعل ما فعل .

ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان لورد كرومر يتمنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت ما يحول دون ذلك حتى انهما تكلما غير مرة في أمر الوفاق و بعد التواطؤ بزمن قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كمصر في عرفهم فلم يتم للورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لا نائلها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير

ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشهير فعالج الأمير تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة للسياسة الجديدة التي سنبينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي فيها وهي اختيار الاكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسؤليتها» وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد فتحي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبدالخالق ثروت باشا نائبا عموميا

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجاءت كما يراد وهي اعتماد انكلترا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها

فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعة سياستها وادارتها على غاربها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الامة وما دونه من مجالس المديريات

ماهو مجلس نواب الامة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعة وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ماذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ماتطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكاشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة. والامير ينفذها رغائبها بمصر

انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يفتخر احرار انكلترا بذلك لموافقته لسنتهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها

هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرص فما كان منه عن شئ مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراه الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخطئون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون تبعة الادارة وتكون الحجة على الحتالين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعة العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليز ان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام (المكاشف)

القرآن والعلم

٢

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

المسألة الثالثة

﴿ ذو القرنين ومطلع الشمس ومغربها ﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨ : ٨٦ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً) إلى قوله (٩٠ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً)

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سافر إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو ارض المشرق ومعنى ذلك انه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الاقصى أو المغرب الاقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فمعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . ومهما كان الانسان عالماً فانه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المعهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تغرب في عين حمئة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلا « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات وعيون) أي أنهار جارية وكقوله فى وصف الجنة (٨٨ : ١٢ فيها عين جارية) وقوله « حمئة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخونتها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطلعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطيقي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذا القرنين وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب. فان تيار الخليج (Gulf Stream) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء يقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل افريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن (فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فرنهيت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل الى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذا القرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل الى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل الى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الامم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاسكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم و بساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بجيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضعيفة

والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحميريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذي يزن وذي كلاع وذي نواس . ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميريين

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً * ملكاً علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب ملك من كريم سيد

وكل ذلك يؤيد ان العرب ماسألوا النبي إلاَّ عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام

قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عبير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك

وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذو حاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس .

فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد بني سداً بين جلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التعدي على الأمم المجاورة لهم وهما قبيلتان شهيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرهما أيضاً في كتب أهل الكتاب (تك١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣)

وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تطأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدأ ومن هبوب الرياح ونزول الامطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطى بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لايمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون مغطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وحملتها إليه فجفت عليه

فاذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقًّا)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التتار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الافساد في الارض وما أوقعوه بالامم المختلفة من القتل والسبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى اذا فتحت يأجوجُ ومأجوج وهم من كل حدَب يَنسِلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ماحصل منهم سابقا هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (٥٣ : ١ اقتربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا انبأت عن الحوادث المستقبلة

٭٭٭

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ يحيي بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميًّا) يقولون ان يحيي هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهود سمي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سميا»؟؟

ونقول لانسلم بان لفظ يحيي في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيي من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יְחִיֶה) وينطق بحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنان) العبري ومعناه «يهوحنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لا من الحياة وعليه يكون لفظ يحيي غير يوحنا وجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني لقبا له وأمثلة ذلك في كتب العهدين كثيرة جدا منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠: ٢ و٣) وكان النبي عليه السلام يغير كثيرا من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سماهم به رسول الله وعند جميع الامم يوجد أشخاص لهم أكثر من اسم. هـذا اذا لم نقل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطإٍ مؤلفي الاناجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا نقل اسمه الحقيقي «يحيه» الى لغتهم

ويحتمل ان الاسم الذى بشر الله به زكريا هو (يحيي) ولما اشتهر عن يحيي الشفقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩: ١٣ وحنانا من لدنا) صاروا يلقبونه بيوحنا حتى شاع بينهم ذلك أكثر من اسمه الاصلى الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثا له من نسله خوفا من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيي وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١: ٦١ فقالوا لها — أي لامه — ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم» فقوله تعالى «لم نجعل له من قبل سميا» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب لهفيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم ان لفظ يحيى هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي انه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية واخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا الى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى ايضا في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا » اي سميا حقيقيا وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

المسئلة الخامسة

(السامري والعجل)

قال الله تعالى(٢٠: ٨٨ فأَخرَجَ لهم عجلاً جَسَداً له خوارٌ فقالوا هذا الهكم وإله موسى — الى قوله — ٩٥ قال فما خَطْبُكَ ياسامري ٩٦ قالَ بصُرْتُ بِمَا لم يَبصُرُوا بهِ فَقَبضتُ قَبضةً من أثرِ الرسولِ فَنَبذتُها وكذلك سَوَّلت لي نَفسِي »

رجعنا في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني اسرائيل يسمى بلغتهم شِمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم • انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و١١ : ٤٥ و٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السموأل) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب • وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة • وهو معرب من لفظ (شموئيل) والتغيير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة • وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ بختنصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسى وأصله يشوع • وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التغيير والتحريف في الأعلام • واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق • ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري • وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجوديّ بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جماد كهذا العجل الذي صنعه السامري من الحلي وكتماثيل الحيوانات فانها كأجسادها بعد الممات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي علمت مالم يعلموا وأدركت مالم يدركوا (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفته فينا واقتفيت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها. وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني اسرائيل فان الله قال لهما (٢٠ : ٤٧ فقولا إنا رسولا ربك) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهكم كما كانت قريش يتهكمون على رسول الله ويقولون له (٢٥ : ٧ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) ثم قال السامري (فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجربتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت مالم يعلم غيري .هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ماحشاه بها أكثر

المفسرين من الخرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعززه

(٩٧ قال) له موسى (فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تُخلَفه وانظر إلى إلهك الذي ظلتَ عليه عاكفاً لنُحرّقنّه) أي لنبردنه ويؤيده قراءة « لنحرقنه » بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة (ثم لننسفنّه في اليم نسفاً)

فان قال قائل ما بال القرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا تقبل التأويل حتى لا يكون ذلك صاداً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فاتى لهم بما لو سمعوه لقبلوه وما لو سمعه العلماء المحققون لادركوه وفهموه ولذلك تراه مثلا ينص على دوران الارض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء على أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فان القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرتقين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع و بذلك لم يخطئ الغرض ، ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض ،

المسألة السادسة

(تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢ ولقد خلقنا الانسان من سُلالة من طين ١٣ ثم جعلناه نُطفة في قرار مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مُضغة فخلقنا

المُضغة عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناهُ خَلقاً آخرَ فتباركَ اللهُ احسنُ الخالقينَ ١٥ ثم إنكم بعدَ ذلكَ لَمَيّتونَ ١٦ ثم إنكم يومَ القيامةِ تُبعثُونَ)

اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الانسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم بعثه

(الطور الاول) « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الارض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر بانقسام الخلايا ثم بالتلقيح الذي يعقبه الانقسام (ومعنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز فتطلق على المني ولا مانع من اطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحا لأن ذلك غير معروف لجماهير الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يؤيد قضاياه بما يعرفونه ولاينكرونه واكتفاؤه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى مافيه البويضات فاذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم • والمراد بالقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين • ولا شك أن حيوان الذكر و بويضة الانثى يسبحان قبل التلقيح و بعده في قليل

(١) المنار : النطفة في الاصل الماء أوكل سائل فيصح اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم

(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقة » وذلك بانقسام البويضة بعد التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكوّن كتلة صغيرة تشبه العلقة وخلاياها كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقة مضغة » وهي قطعة أكبر من العلقة قدر ما يمضغ في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تغذيتها في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغة عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغة التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التنويع عظاماً

(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغة إلى أنسجة رخوة ذات خلايا مغايرة في شكلها للخلايا الاصلية وهذه الأنسجة تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فبينما تجد بعض الخلايا يتحول الى عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » اي بعد تمام خلقته وولادته يصير بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد ان كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (واللهِ أخرَجكم مِن بطونِ أمهاتكم لاَ تعلمونَ شيئاً وَجعلَ لكم السمعَ وَالأبصارِ وَالأفئدَةَ) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطا بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فتبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرهنا بثم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة

ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفتها باجمال خال من الوهم والخطأ داع الى التفكر في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس علم تكوّن الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطناب فيه لأن الناس يصلون اليه من غير طريق الوحي

المسألة السابعة

(ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون)

قال الله تعالى (٢٦: ٥٧ فأخرجناهم من جنّات وعيون ٥٨ وكنوز ومقام كريم ٥٩ كذلكَ، وأورثناها بني إسرائيلَ) ومن المعلوم أن بني اسرائيل من بعد غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فما معنى هذه الآية اذاً ؟؟

ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتاح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يبقي فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان المصريون يجنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقيم فيها تحت رعاية دولته كما يفعل الاوربيون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك الى عهد منفتاح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني اسرائيل من أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسلَ فرعونُ في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قائلا لهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون. وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميعٌ حذرون) ثم قال الله تعالى (فأخرجناهم) أي المصريين (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) في مصر والشام (كذلك وأورثناها بني اسرائيل) أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع (٧: ١٣٧ وأورثنا القومَ الذين كانوا يُستضعَفونَ مشارقَ

الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٧١ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وقوله (١٧ : ١ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وان المراد من ميراث بني اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام (للمسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٣
تتمة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور : وإذا فتشنا الاحاديث — الى ان قال — فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتى بكلام ثم قال . « والذي نراه نحن ان العقل لا يستقبح وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن يبين لنا نصا جميع ما نسخ وجميع مالم ينسخ او ان الرسول (ص) يبين ذلك بيانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ

والناظر يرى بادىء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور ان قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن «لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة» لانه اذا كان النسخ هو كما ذكر ابطال حكم الى بدل او لغير بدل وجاز ان يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا الى بدل مثلا في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فما ذلك الا قول بجواز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) و بذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التى يلزم الأخذ بها ويعلم صدورها عن رسول الله (ص)

اما ماذكر حضرة الدكتور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبيين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع مالم ينسخ او تبيين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فنقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ لمقتض لا يستقبح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً فاين هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمله وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضى وانقضى والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان ينقلوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نر ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعلا ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك

ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لامتناع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطا لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدها فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبلوغه الينا —

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظا يصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من ماصدقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في الناسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فتبين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضام مايبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يؤتى بما لا يتبين المرادمنه الا مع مبين — والبيان اخراج الشئ من حيّز الإشكال الى حيّز التجلي فظهر بذلك ان معرفة الناسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ماذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ماذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون الناسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكمين ككون الشئ في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما او العكس؟ وقد ذكر علماء الأصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ و بينوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندري ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضع وليعلم انه بادر الى التهكم والتعريض بمخالفيه الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يقم حجة على ماقال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ماهو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل تقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار. ونقول أيضا اذا كان النسخ هو ماذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبحه فلا محل للتشنيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل النقلي

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لامبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة (أي لفظ مبدل) في سياق النفي تعم

وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذاك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالآية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن انتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ونقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الإله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بماسوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعله اليهود والنصارى في كتابهم

اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ مامن عامّ إلاّ وقد خص وما من مطلق إلا وقد قيد الا آيات التوحيد وما ضاهاها

وأيضاً قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحله المعين والفاعل معلوم فهى بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلا

اما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهنالك يدل على ان تفسير الآية هكذا: واذا اتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما انت مفتر كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله الى آخر الآيات ـ وزعم ان القول بأنه مفتر في قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر » انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ واقول ان قوله انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز ان تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم ان ما ذكرته حضرته وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وانما يدل على خلافه فانه تعالى انما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بان اكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا ان الغلام النصراني يعلم النبي (ص) افتراء وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك ايضا ان الله لما برأ رسوله (ص) من تهمهم الكاذبة ذكر ان سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان انما هو ضلالهم وعدم ايمانهم بآياته فانه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بان المفتري في تبديل آيات الله انما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص ايضا في ارادة المشركين فظهر ان القائل بانه مفتر انما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها انما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والاقتداء بعاداتهم وعن الاصغاء والالتفات الى شبهاتهم عند نزول ناسخ او تبديل آية مكان آية لانهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدهم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم ان ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما اهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يعود الضمير اليهم وايضا فان الله تعالى قد عيّن هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود اذا كان المراد بالآيات الاحكام وبالآية الواحدة الحكم لايمانهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المخصوصة فان أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبدلة على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت مفتر وهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم نقول لو كان التبديل اي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقييده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) «ائت بقرآن غير هذا او بدله» حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله «قل مايكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحي اليَّ» فانه لامعنى للتقييد حينئذ و بذلك وهذا تعين عدم دخول المتكلم وهوالله تعالى في عموم لفظ «مبدل» من قوله «لا مبدل لكلماته»

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه مايلجئه الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدر أي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لمعاينتهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يفترضها مع ترك ما سيق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون الخرّاصون كالقرامطة والملحدين من المتصوفة وسائر الطوائف المبتدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يتراءى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قد بين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تتلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بآرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف و بالا خص آثار الصحابة (رض) ولنعد إلى ما كنا بصدده فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكر حضرة الدكتور في تفسيرها فانه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية نقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بمالنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة ؟ وهل هذا الا تفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

ونقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي (المعجزة) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالتها وترك تأييد نبي آخر بها ؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت بانقضاء الزمن المشترط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابعا وخاضعاً لاسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلها لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة للثاني ممتنع ولأفضى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ماننسخ من آية اي من مثل آية اوننسها نأت بخير منها او مثلها . ومؤداه ما نترك مثل معجزة الا نأت بمثلها . اليس هذا تناقضا يجب ان ينزه القرآن عنه ؟ ونقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

ونقول ايضاً ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها .

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بعقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكينا لهم ودفعا للشبه التي يبثها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمدا يأمر بالشيء ويمنعه غداً الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من اعدائهم ودونك الآية وما قبلها يتبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ماعرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤ ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على ان الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد(ص) الى ما هو أكثر خيرا منه ذكره تبارك وتعالى كالفرع من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالا لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد المقتضي نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية إلى ما هو انسب باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧ ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير) هو زيادة لا يضاح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للاشياء فهو يعلم المناسب والاصلح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مختبرا أحوال الرعية فلا يليق بعدله ترك ما فيه زيادة الخير والأنسب باحوالهم لما هو أحط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأنا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انساها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلها وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء — فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من أنبيائه ؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما ننسخ من آية أو ننسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ومعناه حينئذ نؤخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما ننسخ ماننرك وعليه يكون المعنى هكذا : ما ننسخ أي ما نترك من آية أي معجزة أو ننسأها أي نؤخرها . وهو على مافيه من الركاكة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ماأراده

ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها وحيث اني رأيته انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ماذكره بين البطلان بنفسه .

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتي بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعني ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فعليك البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لانا نرى ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة

وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة ووافقتنا وهو غاية ماتتمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل — الا اليهود فقد منعوه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأحبارهم نسخ ماشاءوا من التوراة — والا مايحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومرذول وقال السيد صديق حسن خان ولعله نقلا عن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلا قطعيا واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يعتد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر احداً حكى قول الاصفهاني الا وأنحى عليه باللوم . ونحن لانرى في الطعن فائدة (١) لانا نعلم كغيرنا انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ من قوله ويترك ومن تتبع الغلطات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من الاشياء وامر من الامور ولا يبقى بيديه شيء من الحق وذلك هو الخسران المبين

آثار علمية ادبية

كتاب التربية

ألف علماء اوربا كتبا كثيرة في فن التربية فلما كتب في ذلك الفيلسوف سبنسر كان ما كتبه ناسخا لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي بنى قوانين التربية على أسس المنفعة و بين خطأ الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه التاريخ . وكتابه في التربية أشهر من أن يذكر فنوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

(١) المنار : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على طعنه هذا بأبي مسلم،واين هو من ابي مسلم بل اين منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟ اننا نجل الشوكاني ونعرف له فضله فيعلوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز أبا مسلم بالجهل ونحمد من صديق حسن اهتداءه بكتب الشوكاني ومحاربته للتقليد وان كان في عامة أحواله مقلدا للشوكاني ولكننا لانرى طعنه هذا في أبي مسلم الا هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لابي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف أو ابدى علما وفهما فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيرا من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ؟ ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ماعدوه منسوخا ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشريعة ان وجد لهـذه البضع الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفيه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعا حسنا على ورق جيد فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمنه عشرون قرشا وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو تطبع الخطب التي تلقى في نادي دار العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حفني بك ناصف) بأمنيتهم فوافقت رغبته رغبتهم وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة الاولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع عبد العزيز (نمرة ٥)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٢٨٠ اودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام ففيه من الخطب خطب عائشة ام المؤمنين في فضائل ابيها ورثائه وخطبتها السياسية بالبصرة وخطبتها لما بلغها قتل عثمان . وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والرثاء ومن احسنه كلام كثيرات منهن مع معاوية في تخطئته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الازواج مدحاً وذماً ووصاياهن لبناتهن والتعبير عن سائر أغراضهن نثراً ونظماً ، وليته خلا من اخبار مواجنهن ، واحاديث رفثهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفي طبعا حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

ما رآه خفيا من مفرداته حتى بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع المنار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن ربات الخدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً ونثراجمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وثمنهما عشرة قروش وثمن الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تحفة المجالس ونزهة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم واخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصصين والنساء والعشاق . طبعه الحاج محمد افندي در بال التونسي التاجر بسوق العطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحامات المعدنية في القطر التونسي وضعها الطبيب يورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالعربية الشيخ محمد بن خسين بيرم في عهد محمد بن خسين باي ونقلها الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش فنحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام — والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حدتها فبلغت ٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في (المرأة في الإسلام والنصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وثمن النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غورست

كان الناس ينتظرون هذا التقرير انتظار من يتوقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقرءون في تقريره عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن من فروع التغيير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة التقرير السنوي بالعربية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه فلما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والعربية في وقت واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب انكليزي ويجيء انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسنه بقدر ما كان ذلك يخاشنه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه المحاسنة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيما بعد زيارة الامير لملك الانكليز في هذا العام ، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير تواريخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك امين

كان قاسم بك أمين الذي نعيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يسنح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعن له من الآراء والخواطر او يراه من غريب المناظر . وقد ألقي الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم « كلمات لقاسم بك أمين » فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمته المعنوية وانا ننقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة يتجرعها الحليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فمها كثرت معارف الانسان لاتملأ كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة يحلها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشتغل عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد ، الذي لاقرار له ولا حد لافي الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما يحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان الله غير موجود ماخسرت اكثر من غيري وان كان موجودا ربحت مع الرابحين لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذى لا يصان أحد حتى الاله من نصبه

أتعس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذتها وينغص عليها شهوتها

وسننشر بعض آرائه في أهل عصره

شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية حنا افندي العنحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن الصبا نبوغاً قلما قاربه في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه مايعد من آيات حياة العربية

قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقلة اطلاعهم وتزين بالامثال والاقتباس والتضمين وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين وتقل فيها الاغلاط الشائعة الآن

طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها فقلنا لا بد لهذا من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعلمه بأننا نعرف قيمة هذه الترجمة البليغة . وثمن الجزئين معاً عشرون قرشاوهي تطلب من طابعها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر انشأها أحمد افندي حلمي اشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

الفصل الخامس (*

« مقام خديجة » عند قومها

ما اكرم هذا المقام، واي بليغ لا تأخذه الهيبة اذا دعي لتصور هذه المنزلة ؟ سيدة بطلعتها الفخامة والشرف يتجليان ، والجمال والكمال يتألقان،

ومزايا كالزهر نفحاً وطيباً وكزهر السما بهاءاً ونورا

من شرف حسب ، الى كرم محتد ، الى سؤدد قبيل، الى عز عشيرة ، الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجى، الى طهارة نفس، ذلك ما كانت تتزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحل به بين قومها في المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء، ولا نبأها بغريب من الانباء ، بل هي معهودة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب بغير الخمول ، قد طويت أعلامهن ، ولم ينشر ذكرهن ، ولم يسمُ في أقوامهن مقامهن ، فكيف تسامى اسم « خديجة » وعلت منزلتها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعهم. وليس بكافٍ لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بد مع ذلك من احاطة قومه علماً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجارة

*) من سيرة السيدة خديجة

الكريمة عند من لا يعرف مزيتها لا قيمة لها وهي عند عارفيها فوق القيم فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعادة جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعادة جدهم ، فقد ربح قوم كان للافاضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلو بينهم الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتغلبة على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لوفرة مزاياها الشريفة فنحن بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجابا . وليست « خديجة » وحدها هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسائهم نلن المقام الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بما لهن من القدر الذي يليق بانسان ذي رأي معدود، وعقل مذكور ، ونفس مشابهة وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل وابا الفتوح وابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه إلا بمحاورة سيدة من اولئك السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

نحن نعلم أن أكثر الناس يمرون بالمزية يعهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها مالم تكن رائعة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا ضار لان فيما يعهدونه ايضاً ما يستحق الالتفات اليه ، ويغري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والتغافل عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المعهود

ولا يشكنّ القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفتنا الألفة عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإمعان فوق ما تتصور. وفي كثير مما لا تتفكر فيه منها ما تخر الافكار صاغرةً أمام زاخر فوائده وباهر أسراره فلذلك أحببنا ان نمر بقارئنا مرةً في تفصيل جملة تلك المزايا التي شرّفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانه ربما اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معهودة في كثيرين وقد يكون قارئنا من حزب الا كثرين الذين لا يبالون بالمعهودات ، ولا يطربون بغير الغرائب

نعم ، نعم نحن لم نطرف بما فوق المعهود ، ولم نُبهر ما وراء المشهود، ولا عذنا بمبتدعات التصور ، ولا لذنا بغرائب الحوادث، وشواذ المصادفة وخوارق العادة ، ولم نعتَ الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال، ومألوف لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعهودات على ما قلنا . واذا ثبنا اليها بنظر الإمعان غير وسنانة عين بصيرتنا ألفينافيها عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تتوق اليه من لذة التصور وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه الوحدة ابداً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم يكن حسناً بنا ان ننسي أحاسن ما تلده لنا هذه الامّ من الصور التى لا تحصى اننا بتذكرنا من سادوا وشادوا ، وبتذكرنا من صلحوا وأصلحوا ،

بتذكرنا من أوجدوا وابتدعوا ـ تتذكر تاريخ امنا الحياة وترتاح نفوسنا باستجلاء أحسن صورها ، وتتوارد عليها اللذة باشتياقها الى نصيب من ثروة تلك الام التى جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك المظاهر ولابسي تلك الصور ، ولم لا نتوق الى حديث ذلك التراث وهو يملا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنه جواهره خبراً فهي لا تعجز ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل ببلوغ ما تميل اليه النفس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة ، فقد أبدع لنا في «خديجة» المثال الاسنى منها ، وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى، وبنور هذه الزواهر رأينا مدارك قريش في الافق الأعلى، وتربيتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا

نحن معشر بني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرنا في الحقيقة مغبون الحظ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى النافعة الآتية بالغبطة والحبور . ولدى التأمل نجد استعداد فطرة الشخص هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير فاذا اجتمع في الشخص استعداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني، والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان التربية وحدها لا تعمل شيئاً في جوهر النفس اذا كان غير صالح لفعلها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ماتشاء، وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر جديراً بالتنويه وقلما رأينا من نوّه به او التفت اليه فلذلك عنينا به نحن كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيما فان التربية الشخصية مقتبسة في الغالب من التربية العمومية . والمجتمع غالباً اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولا ومردوداً ومسكوتا عنه . وتشتهر المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف، والمردودات حتى يطلق عليها اسم المنكر، ويضطر الناس الى تقرير تربية عمومية هي ان لا يخالف المعروف ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبح في المسكوت عنه من الاشياء حتى يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجبه على نفسه، وذاك يستقبح شيئا حتى يحرمه عليها. وأعقل الناس في هذه الاشياء المسكوت عنها من جعل المعروف والمنكر معيارا لها فكل ماقرب من المعروف كان حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ماقرب من المنكر كان مسترذلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر. والاصل في المنكر هو الاذى والعدوان وعليه قيس الاصل في المعروف قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

—

فعلى هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعليهما تشاد الاعمال فيها

وأي باحث لا تأخذه هيبة اذا اطلع على ما كان لقوم «خديجة» من التعمق في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل، أي والله ان هؤلاء القوم النازلين في ذلك البلد الصغير البعيد، واخوانهم الآخرين الضاربين في تلك الفيافي، يدهش المتالم ما يراه لهم من الباع الطويل في فن التربية على مقتضى مجتمعهم ذاك. فتراهم مثلا لما كانت السماحة ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جعلوها في المقام الاول ولم يألوا بطبعها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بلغوا بهممهم في الجود الكواكب وازدانت الارض بمناقب هممهم، وايثارا خيهم الانسان على انفسهم، كافعل كعب بن مامة الذي آثر رفيقه بمائه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان وكل مكان تجدهم جعلوها شعار المحامد وتاج المناقب وسيروا فيما ضربوه من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ملقى» وكانوا يتمادحون بالموت قتلا ويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير — وهو ابن أخي خديجة — قتل أخيه مصعب خطب فقال « ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه . اننا لانموت حتفا ولكن قطعاً بأطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف، وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خلفا منه » ذلك لانهم كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للعدم أكثر من الحياة الشريفة ولمثل هذا يقول علي ابن أبي طالب « بقية السيف أنمى

عدداً ، وأطيب ولدا » وتقول الخنساء وهي احدى الشهيرات في العرب:

نهين النفوس وبذل النفو س يوم الكريهة أبقى لها

لا يستنكرنّ احد اذا قيل له ان الشجاعة ـ وهي السجية التي لا ترق الامم اذا خلت منها ـ كانت في العرب من الاخلاق الفاشية التي لا يعتدّون بأحد منهم مالم تكن فيه وقد سهل على نفوسهم انطباع هذا الخلق فيها لان أ كثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجعان واقدامهم في الشدائد حتى فضلوا ، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا ، وهنالك من الشعر في الشجاعة والشجعان مايفعل في النفوس فعل السحر فيستنزلها من الخوف على الحياة والحرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في سبيله كقول عنترة وهو أحد مشهوري شجعانهم :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها ان المنية منهل لابد ان أسقى بكاس المنهل

فاقني حياءك لا اباً لك واعلمي أني امرؤ سأموت ان لم أقتل

وقد يظن ظانٌّ ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا نزيد ان نأتي بآية على شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد إسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا ان ندل القاريء على ما كان من باس العرب يوم ذي قار اذ أراد كسرى أن يوقع سوءا ببني بكر بن وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم جيشا كثيفاً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجهزوا له واعانهم قبائل أخرى فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار ،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى الذمار، واتقاء العار، وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم　　منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ململمة شهباء يقدمها　　للموت لا عاجز منا ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة　　موفق حازم في أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم　　مثل الاسنة لا مِيلٌ ولا كُشُف
لما رأونا كشفنا عن جماجنا　　ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم　　ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل مَعَدّ كان شاركنا　　في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم　　ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت　　حتى تولت وكاد القوم ينتصفوا
بطارق وبني ملك مرازبة　　من الاعاجم في آذانها النُّطُف
من كل مرجانة في البحر أحرزها　　تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل في حافات جمعهم　　والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم　　ولا عن الطعن في اللبات منحرف

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرج العجلي :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة　　الا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به　　للناس أفضل من يوم بذي قار
جئنا باسلابهم والخيل عابسة　　لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيها يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت ساقيةً يوماً ذوي كرم　　فاسقي الفوارس من ذُهل بن شيبانا

واسقي فوارس حاموا عن ذمارهم واعلي مفارقهم مسكا وريحانا

وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية أكمل مظهر وكان المنذر لهم بنية كسرى وعزمه لقيط الايادي اذ كتب الى بني شيبان يخبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستثارة العزائم وفيه يقول :

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمر على شزر مريرته مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا (*)
وليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

فعلى مثل ماذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من الشجاعة التي لاقوام للامم بدونها وكانوا لا يعتدون بالجبان ولا يعدونه شيئاً مذكوراً . يبنك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مغارا لنا وفينا زياد ابو صعصعة
فستة رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة » في فقه النفس والحكمة والمعارف بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها من غير كتب وكان لهم إلمام قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(*) المريرة طاقة الحبل والحبل الشديد الفتل . والشزر الفتل عن اليسار والمعنى استحكم امره وقويت شكيمته . والقحم الرجل الهرم والضرع الضعيف

تتبعها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان اوطب الحيوان . والطب يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها البارى في المعدن والنبات والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكانوا يعبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق ان تسمى علماً وانما كان النسابون يعرفون أخبار أولئك الاشخاص وأخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان السبب في اشتهار هذه المعرفة باسم علم الانساب أن عارفي الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب التي من أهم فوائدها معرفة تفريع القبائل وإلحاق الفروع بأصولها على شدة البعد بين الاصول وتلك الفروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون بهذا العلم يلقون منه على من يتحلقون حولهم . قال رؤبة بن العجاج قال لي النسابة البكري « يارؤبة لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني وان حدثتهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تلقي هذا العلم حق الرغبة قال رؤبة فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال فما آفة العلم ونكرته وهجنته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ، ونكرته الكذب ، وهجنته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من الانصباب على حفظها ودراسة الكلم الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث معنى من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستحسان

أو الاستهجان الا ويجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وابرازه بأبدع حلة ولا ينبئك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلمهم الجوامع التي سارت مسير الامثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الا قوال، ولا نستطيع ان نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نبعد بالقارىء عن سياق السيرة ولكنا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بتنذا كر الحكم والآداب ، وصياغتها بابدع البيان ، ومقدار ما وسمت منها تلك الأفكار. ذكروا ان عمرو بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي اجتمعا عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلا حتى اسمع ماتقولان. فقال عمرو لحممة أين تحب ان تكون أياديك ؟ قال « عند ذي الرثة العديم ، وعند ذي الخلة الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الهضيم » قال : من احق الناس بالمقت ؟ قال « الفقير المختال » والضعيف الصوال ، والغني القوال » قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال « الحريص الكاند ، والمستميد(١) الحاسد ، والملحف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال من اذا أعطي شكر ، واذا منع عذر ، واذا مُطل صبر ، واذا قدم العهد ذكر » قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال «من اذا قرب منح ، واذا ظلم صفح ، وان ضويق سمح » قال من ألأم الناس ؟ قال من اذا سأل خضع ، واذا سئل منع ،واذا ملك كنع (٢)، ظاهره جشع، وباطنه طبع» (٣) قال فمن أجلّ الناس ؟ قال « من عفا اذا قدر، وأجمل اذا انتصر ، ولم تطغه عزة الظفر» قال فمن أحزم الناس ؟ قال « من أخذ رقاب الأُسود بيديه ، وجعل

---

(١) المستميد هو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكمش (٣) الطبع بفتحتين هو الدنس

العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيب دبر أذنيه » قال فمن أخرق الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف العثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار[١] » قال من أجود الناس ؟ قال « من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود » قال فمن أبلغ الناس ؟ قال « من حلى المعنى العزيز ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزيز » قال من أنعم الناس عيشاً ؟ قال« من تحلى بالعفاف ، ورضي بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف ، الى مالا يخاف » قال فمن أشقى الناس ؟ قال « من حسد على النعم ، وسخط على القسم، واستشعر الندم ، على ما انحتم » قال من أغنى الناس ؟ « قال من استشعر الياس ، وأظهر التجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس » قال من صمت فاذكر ، ونظر فاعتبر، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس ؟ « قال من رأى الخرق مغنما ، والتجاوز مغرما »

وما ذكرناه من جهة معارف القوم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة مايعنون به من التربية تثقيف ناشئهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي ألفوها وتعودوها في التعليم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون . ولكل فرع أهله الذين بهم استعداد لالتقاطه بسهولة ولا يكلف البليد في شيء ان يكد في تفهمه مدركته، أو ينضي في حفظه ذاكرته،أو في توسيعه مخيلته

ثم قد كان مما عني به العقلاء من رهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

(١) يريد بالبدار معاجلة الخصم

وكذلك ولعوا بتمداح العفاف وتشريف الاعفاء والعفائف، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم ألقابهم وأجلها لقب الطاهر والطاهرة وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فاذا عرف المطالع الكريم ان لهؤلاء القوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي أصول الفضائل نعني السماحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والعدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني الممنوح من يد الفاطر المبدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة المدر في البلدان أو حد بل يصل ذلك الفضل بإرسال وباني مزيده سبحانه الى المدرات الصغيرة التي في الادمغة ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنوا بتوجيه العقول والقلوب الى تصفية النفس وتزكيتها من النقائص وتحليتها بالفضائل ممن لم يجعلوا أكبر همهم تجويد المأكل والملبس والمسكن والفراش . فاذا كثر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم، واستوفت وان بخس الوزن لهم، ولم يكن الافراد الذين تلقوا هدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أكبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اولئك الذين وافاهم الوحي ينعتهم بتمام أهله قائلا « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »